جماعة البارابالاني في الكنيسة القبطية الأرثوذكسية

الباحثان أندرو وموريس وهيب

Melicca_tm

جماعة البارابالاني
في الكنيسة القبطيّة الأرثوذكسيّة

مؤتمر تُراث الأجداد في عيون الأحفاد
مؤسسة القديس مرقس
الجُمعة والسَّبت ١٩، ٢٠ مارس سنة ٢٠١٦م
إكليريكي موريس وهيب زكي
الباحث اندرو وهيب زكي

أن تاريخنا القبطي عميق بحيث من الصعب أن نسبر أغواره، ولكن نسبنا القبطي يلزمنا أن نعرف هذا التاريخ.. فما أحوج هذه الأمة اليوم إلى أن تعرف أصلها ومن هم أجدادها، لأن جُلْ ما نعرفه اليوم هو صور مشوهة من سير شعبية غريبة تماماً عن "التاريخ".. فهذا هو أعتقادي : إن أستيقاظ هذه الأمة لا يكمن إلّا في معرفة تاريخها – وأشدد على تاريخها وليس تلك السير المزعومة – فكما أن الإنسان لا يتطور إلا بخبرات سابقة مكتسبة.. فأن الأمة لا تطور إلا من خبرات مكتسبة من تاريخها. فلا يصح لأمة مثلنا أن تحيا متناسيه تاريخها ومكتفيه بحفنة من السير الشعبية متماثلة الحبكة ومتشابهة السرد على أنها تاريخ أجداد.

١ – أصل التسمية:

البارابالاني.. اسم وقعه غريب لم نسمعه من قبل، ولكن في تعريف بسيط يمكن أن نقول : "هم اعضاء لجماعة عنيفة مكرسة في المقام الأول لرعاية المرضى ووجدت في الإسكندرية ومدن اخرى عديدة ، وبجانب عملهم الخيري قد تم استخدامهم في عمليات إرهابية في المحاكم أو المجالس القانونية. ويحضرون العروض بغرض قيادة المظاهرات[١]"

ذلك هو ما قاله مايكل جادّيس وريتشارد برايس Michael Gaddis , Richard Price في المجلد الأول من موسوعتهم الضخمة عن أعمال مجمع خلقيدونية، ولكن ما معنى هذا الاسم.

هو اسم نادرًا ما وجد في المخطوطات التاريخيّة، ولكن لاحظ هنري غريغوا Henri Grégoire[٢] أن في أعمال مجمع خلقيدونية ٤٥١م إشارة إلى أضطراب قد حدث في مجمع أفسس قبل عامين من خلقيدونية. وهو أن

[1] Richard Price, Michael Gaddis, The Acts of the Council of Chalcedon, vol I, Liverpool University Press 2005, p. 269.
[2] H. Grégoire, “Sur le Personnel hospitalier des églises”, *Byzantion* 13 (1938), p. 283-285.

بعض الرهبان المناصرين لبارسوما –هو مطران مدينة نصيبين في القرن الخامس وكان من المتحالفين مع نسطور- قد اقتحموا الكنيسة، ومن بينهم بعض الأشخاص دُعيوا بالبارابالاني παραβαλανεῖς، Bath-Attendants، مرافقون الحَمّام. وغريغوا يدعي، بأن هذا هو التفسير الصحيح للاسم، حيث أنهم مجموعة من الأشخاص تقوم بألتقاط المرضى من شوارع الإسكندرية ويضعوهم في الحَمّامات العامة لتلقي العلاج. ولكن يرى بروفسور Glen W. Bowersock[٣] أن هذا الرأي بعيد عن الحقيقة بدرجة كبيرة، حيث يطرح فكرة وجود خطاء في الكتابة يرجع إلى ناسخي كل من نصّ قانون ثيؤدوسيوس وجستنيان، حيث نجد في نصّ جستينيان أنه تم أدخال حرف O بدلًا من حرف A الثالث في كلمة Parabalanus، وبالتالي فأن أحتمالية أن تكون Parabolanus هي في الواقع الكتابة الصحيحة. وهي كلمة تطلق على الرجل الضخم *paraboloi*، وذلك من صفة تعني "المُخاطَر"، من παραβάλλω، بمعنى "مُخاطَر، مُعرَض للخطر". وقد استخدم المسيحيين هذه الكلمة كمصطلح للإشارة لقبول الأخطار من أجل خدمة المسيح.

٢ – البداية التاريخيّة لجماعة البارابالاني:

يخبرنا كلايف كالفر "Clive Calver" في كتابه "Dying to Live"[٤]: أن أول ذكر للبارابالاني أنهم عاشوا في القرن الثالث، في المدينة العظيمة قرطاجة الخاضعة للحكم الروماني في شمال افريقيا. في ذلك الوقت، كان عدد من سكان قرطاجة قد هلك معظمه بسبب أحدى أَوْبئة الطاعون الكبرى التي حدثت في القرون الخمسة الأولى من وجود الكنيسة. وكان تأثير هذا الطاعون واسع بحيث تناثرت الجثث ملقى في الشوارع دون أن يتحمل أحد مسؤولية دفنهم. ومع أجساد متحلله في شمس افريقيا، نما الطاعون بمعدل سريع. لذلك في عام ٢٥٢م، سيبريون ، أسقف قرطاجة، أخذ فرقة من الرجال والنساء -البارابالاني parabalani- لدفن أجساد الموتى في المدينة. ولم يكتفوا بذلك فقط، بل أهتموا أيضًا بالمرضى، مهددين حياتهم بينما يفعلون هذا. فتم بذلك إنقاذ العديد من الأرواح، لكن البارابالاني قد ضحوا بحياتهم من أجل مبدئهم في محبة يسوع ومواطني قرطاجة. لذا فأن محبتهم المفرطه في العمل تحدثت بصوت أعلى مما قد تصل له الكلمات.

ويلخص لنا Clive مُعْتَقَد هؤولاء الأبطال القدامى للإيمان : بإنهم قد عرفوا أن صلب الحياة هو ذات أهمية قصوى معربين عن إيمانهم الحرفي، جنب إلى جنب مع بولس الرسول، "لأَنَّ لِيَ الْحَيَاةَ هِيَ الْمَسِيحُ وَالْمَوْتُ هُوَ رِبْحٌ" (في ١ :٢١) . أن أختيارهم قد أثار موقف العديد من الناس في قرطاجة نحو الكنيسة مظهرين إلى جيرانهم أثر يسوع المسيح وإنه قد يكون أعلى من الحياة.

---

[3] Glen W. Bowersock, « *Parabalani* : A Terrorist Charity in Late Antiquity », *Anabases* [En ligne], 12 | 2010, mis enligne le 01 octobre 2013, p. 51.

[4] Clive Calver, Dying to Live: The Paradox of the Crucified Life, Authentic Publishing, 2009, p.57-64.

لم يعد للبارابالاني أي وجود في فكر الكنيسة، وذلك يرجع كما ذكر كلايف كالفر "Clive Calver" إلى أن نهج المخاطرة "gambling approach" من أجل المسيح الذي أنتهجه أبفرودِتُس –فيلبي ٢ : ٢٥ – ٣٠- قد صار خارجً عن الموضة منذ فترة طويلة!

اما بالنسبة إلى علاقتهم بكنيسة الإسكندرية يقول د.كلايف كالفر Dr. Clive Calver "يُذكر أن البارابالاني يتبعون اسقف الإسكندرية كرئيس لهم، وأنهم اتحدوا في مراكز طبية وتمريضية منتظرين المرضى والمحتضرين. وبما أنهم فقراء مكرسين، فقد اعتنوا بالفقراء أيضًا، وبالتالي فقد صاروا أكثر إنتشارًا في المدينة، حتى بالنسبة للأثرياء. ولكن لتقليل هذا التعدي قد تم الأمر بواسطة مرسوم إمبراطوري بأنه لا يمكن لأحد -فيما عدا الفقراء من دافعي الضرائب- أن ينضم للبارابالاني، وقد تم تحديد عددهم ، أولاً بخمسمائة ، ولكن بعد فترة ، وبناء على طلب من الأسقف صارت ستمائة[٥]."

٣ – علاقتهم بالأعمال الخيرية والأرهابية:

أظن من الظلم أنه كلما ذُكر البارابالاني يتم ربطهم بمقتل الفيلسوفة هيباتيا، فهذه الجماعة لها كلا الجانبين : الخيري والإرهابي، ولكن كما يخبرنا "Riemer Roukema , Albert Geljon" فأن البارابالاني غالباً ما يتم ذكرهم في التاريخ بأعتبارهم مرتكبي جريمة قتل، على سبيل المثال تعليق "dzielska" : "أنه من المؤكد أن البارابلاني -حرس البطريرك- هم منفذين جريمة قتل هيباتيا" ومع ذلك، فهم غائبون من المصادر التي تروي قصة موتها!. الاستنتاج بأن البارابالاني هم في الحقيقة منفذي الجريمة تم بناءه على قانونين من قوانين ثيودوسيوس، الأول في سبتمبر ٤١٦، والثاني في فبراير ٤١٨، وكلاهما متكرر في قوانين جستنيان.

وفي أعمال مجمع خلقيدونية، باسيليوس الصقلي يروي بأنه اثناء الأعتداء على المجمع في افسس عام ٤٤٩، جنود، ورهبان، وبارابالاني (παραβαλανεῖς) ارهبوا الاساقفة المعارضين لديسقورس[٦].

٤ – الجماعات المشابهة قديمًا وحديثًا:

لم تكن هذه هي الجماعة الوحيدة –إن لم تكن هي الوحيدة المؤثرة- في تاريخ كنيسة الإسكندرية حيث توجد جماعة تحمل شبهًا قريب للبارابولاني، هم الفيلوبونوي philoponoi من الإسكندرية. الذين يقومون أيضًا برعاية الفقراء والمرضى، وعلى الرغم من أنهم من العلمانيين ألا أنهم كانوا على علاقة وثيقة بالكنائس المحلية والأديرة. ولدينا وصف دقيق لهم، عند زكريا البليغ[٧] -مؤرخ سرياني شهير من مدينة غزة في القرن الخامس السادس الميلادي، وهو اسقف مدينة مَلَطْية بالقرب من نهر الفرات في تركيا- كاتب سيرة ساويرس

[5] Samuel Sharpe, The History of Egypt Under the Romans, E. Moxon, 1842, P. 200.

[6] Riemer Roukema, Albert Geljon, Violence in Ancient Christianity: Victims and Perpetrators, VOL 125, BRILL 2014, P. 127.

[7] Zacharias, *Life of Severus:* **ܦܝܠܘܦܘܢܐ** (φιλόπονοι *PO* 2 [Kugener, p. 12 and 24]).

الأنطاكي الذي أنضم إلى الفيلوبونوي الإسكندري. ونصّ السيرة المكتوب بالسريانية هو النصّ الوحيد لدينا عن عملهم، والذي يقول بأن هؤلاء قد تفرغوا لرعاية ܡܥܢܩܐ "المُحْتاجون". وقد أخذوا اسمهم من طبيعة عملهم، وهو يعني "عشاق التعب" "lovers of toil"، تماما كما كانت البارابولاني تعني المُجَازفون. وكانوا يقسمون إلى مجموعات، لكل واحدة منهم الفيلوبونين φιλοπόνιον الخاص بهم، وهو عبارة نادي "club-house" متصل بالدير حيث يجتمع الفيلوبونوي معًا إلى جانب تقديمهم لخدمات طبية للشعب. ويكشف لنا زكريا بأن الإسكندريين اعتبروا الفيلوبونوي جماعة ܕܡܬܟ "مخيفة / مرعبة"، وبهذا الصدد فأن الفيلوبونوي تتشابه كثيرًا مع البارابولاني parabolani.

ويشير زكريا إلى أنه يوجد في عدة مدن أخرى جماعات مثل الفيلوبونوي كانت تسمى ܩܢܝܐ "المتعصبين" "zealots" وفي مدن أخرى تسمى ܡܬܟ وهي كلمة تأتي من الفعل "لنلتصق معاً، لننضم" " to cleave together, to join".

ومَنْ بين صفوف الفقراء، ظهرت بعض الجماعات الأخرى القوية المكونة من أشخاص اشداء وأصحاء لخدمة الكنيسة، إمّا من الإكليريكين القُصَّر أو من فقراء الأديرة. وكانوا قادرين على القيام بأعمال شديدة العنف عند تحريضهم. حيث كان ولائهم إمّا إلى أحد الإساقفه أو أحد الرهبان، لذلك ليس من الغريب أن يتم حشدهم كقوة للدفاع في وقت الأزامات.

ومن الجماعات المعاصرة المشابهة للبارابولاني نذكر نموذج – برغم أن هناك الكثير – وهي: جماعة الأمة القبطية، التي نادراً ما تُذكر أو يكتب عنها، ألا أن مانع بن حماد الجهنى تحدث عنها مقتضبًا تاريخها في بضعة أسطر من موسوعته "*الموسوعه الميسره فى الاديان و المذاهب و الاحزاب المعاصره*[٨]"، فذكر أن مؤسسها هو ابراهيم هلال فهمي المحامي أحد خدام مدارس الأحد وأَنْشأ لها فروعًا على مستوى محافظات مصر. وقد دعا إلى إحياء مفهوم الأمة القبطية من خلال التمسك بالعادات والتقاليد الكنسية، وبإحياء اللغة القبطية، واستخدام التقويم القبطي، وكذلك بإصدار الجرائد والمجلات التي تهتم بالأقلية القبطية، وهكذا تطور معه الأمر إلى أن أعلن بياناً يطالب فيه بالحكم الذاتي لأقباط مصر.

ويرجع الجهنى سبب حل الجماعة ونهايتها إلى أن الجماعة في عام ١٩٤٥م قامت باختطاف البطريرك يوساب الثاني وإجباره على توقيع وثيقة تنازل عن كرسي البابوية، ودعوة المجمع المقدس للانعقاد، ووضع وثيقة جديدة لانتخاب البطريرك تشارك فيها كل الطوائف، لذلك ألقت الحكومة المصرية القبض على زعيم الجماعة واعتقلت أفرادها، ثم قامت بحلها وإعادة البطريرك إلى كرسيه.

كما جاء ذكرهم في الجزء الثالث من Coptic papacy[٩] لمجدي جرجس ونيلي فان دوم-هارديرmagdi guirguis , nelly van doorn-harder" خلال الحديث عن البابا يوساب الثاني.. وذكرا كم كانت تلك الحلقة مؤلمه في التاريخ القبطي، وأوضحا معاناة البابا مع الجماعة وكيف تتابعت الأحداث بينهم من يوليو١٩٥٤م

---

[٨] مانع بن حماد الجهنى، *الموسوعه الميسره فى الاديان و المذاهب و الاحزاب المعاصره*، المجلد الثاني، دار الندوة العالمية ١٤١٨هـ، ص ٥٨٧.

[9] Magdi Guirguis , Nelly van doorn-harder, The Popes of Egypt, Volume 3, The American University in Cairo Press, Cairo, New York, 2011, p. 123.

إلى نياحته في نوفمبر١٩٥٦م، فقالا: "أن انحادره بدء مع جماعة من سابعة وثمانين شاب قبطي نشطاء، يطلقون على انفسهم الأمة القبطية، قرروا أقتحام المقر البابوي وخطف البابا في وقت متأخر من ليلة يوم ٢٦ يوليو١٩٥٤م. وتحت تهديد السلاح طالبوه بالاستقالة والتوقيع على وثيقة تنازل. وقد رفض في البداية، لكن بعد أكثرمن سنة، وفي ٢٠ سبتمبر١٩٥٥م، أذعن يوساب أخيرًا. واستقال ثم أعتزل في دير المحرق، حتى وافته المنية يوم ١٣ نوفمبر١٩٥٦م".

Bibliography

- Richard Price, Michael Gaddis, The Acts of the Council of Chalcedon, vol I, Liverpool University Press 2005.
- H. GREGOIRE, "Sur le Personnel hospitalier des églises", Byzantion 13 1938.
- Glen W. Bowersock, « Parabalani : A Terrorist Charity in Late Antiquity », Anabases [En ligne], 12 | 2010, mis enligne le 01 octobre 2013.
- Samuel Sharpe, The History of Egypt Under the Romans, E. Moxon, 1842.
- Riemer Roukema, Albert Geljon, Violence in Ancient Christianity: Victims and Perpetrators, VOL 125, BRILL 2014.
- Magdi Guirguis , Nelly van doorn-harder, The Popes of Egypt, Volume 3, The American University in Cairo Press, Cairo, New York, 2011.
- Clive Calver, Dying to Live: The Paradox of the Crucified Life, Authentic Publishing, 2009.
- مانع بن حماد الجهنى، الموسوعه الميسره فى الاديان و المذاهب و الاحزاب المعاصره، المجلد الثاني، دار الندوة العالمية ١٤١٨هـ.